الحركة النسوية بين الماضي والحاضر:
الأيديولوجية والحراك والإصلاح

كاميل باليا
ترجمة: كوثر شهبان

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2019
All rights reserved © 2019

الحركة النسوية بين الماضي والحاضر:
الأيديولوجية والحراك والإصلاح[1]

تأليف: **كاميل باليا** (Camille PAGLIA)
ترجمة: **كوثر شهبان**

1- ألقيت هذه المحاضرة في 10 أبريل 2008 كجزء من الخطاب الرئيس لمؤتمر: إرث ومستقبل الحركة النسوية بجامعة هارفارد بعنوان:
Feminism Past and Present: Ideology

تعود الحركة النسوية من جديد إلى ساحة الأخبار. فبعد فترة طويلة حُصر فيها النقاش النسوي بشكل أساسي في المواقع الإلكترونية والكتب التي رغم حسن تقييمها لم تكن تلقى قراء غير نشطاء نسويين آخرين، أعادت الانتخابات الحالية حرب النوع الاجتماعي/الجندر إلى مركز النقاش. لقد ساهم ترشح هيلاري كلينتون في اندلاع موجة دعاية وتشهير دوليين. وعلى عكس المتداول غالبا ليست هيلاري أول امرأة تترشح لمقعد الرئاسة، فقد سبقها لذلك صف مديد من الرائدات، بدءا من فكتوريا وودهل سنة 1872 وبيلفا لوكوود سنة 1884 مرورا بمارغريت تشيس سميث وباتسي مينك وبيلا أبزك وشيرلي تشيشولم وبات شرودر وليونورا فولاني وإليزابيث دول. غير أن هيلاري ونظرا لكونها كانت تجمع أصوات الانتخابات التمهيدية كما لو كانت تجمع الغنائم قد تقدمت بأشواط عدة عن باقي نظيراتها من المترشحات قبلها. وسواء ربحت هيلاري أو خسرت، فستكون قد رسخت ورسمت مسارا لامعا لمن سيأتي بعدها من النساء الطموحات.

سيستمر الجدل لعدة سنوات قادمة حول ما إذا شكل التعصب الجنسي عائقا في حملة هيلاري الانتخابية. هل كانت وسائل الإعلام أكثر قسوة على هيلاري من خصومها الذكور؟ وهل استغلت هيلاري نفسها ورقة النوع الجنسي؟ ليس هناك شك في أن هيلاري ولأسباب معقدة قد جذبت عدة صور نمطية قديمة وأسطورية مثل الساحرة والحيزبون والعاهرة وسليطة اللسان والمتسلطة وكارهة الرجال. وبعد اختفائها في غموض نسبي لما يقارب عقدا من الزمن، انتهزت المنظمة الوطنية للنساء الفرصة للتصريح في بيان صحفي عن هيلاري عنوانه 'الجهل والحقد: التعصب الجنسي المتأصل في وسائل الإعلام' بأن "ازدراء النساء في الإعلام قد بلغ أعلى مستوى على الإطلاق"، وهو ما أجده بصفتي أستاذة علوم إنسانية ودراسات الإعلام تصريحا سخيفا.

في وقت سابق من هذه السنة، تقدمت غلوريا ستاينم، عميدة الحركة النسوية الأمريكية لما يقارب أربعة عقود بمداخلة في مقالة رأي لمجلة نيويورك تايمز دافعت فيها عن هيلاري، وصرحت بأن "النوع الاجتماعي هو أكثر القوى تقييدا في الحياة الأمريكية" وهذا تعميم آخر محل للشك والتساؤل. صورت ستاينم هيلاري على أنها ضحية مبجلة للتحيز الجنسي وضغطت في الواقع على جميع النساء للتصويت لها لمجرد أنها امرأة. وفي عالم التدوين ورسائل القراء على مواقع الأخبار، وصفت نساء ديمقراطيات مثلي من اللواتي ساندن باراك أوباما بالخونة مخربات الحراك النسوي. ودفاعي هنا هو أن النساء تقدمن في السياسة بسرعة كبيرة، فنجد المرأة الآن عمدة وعضو مجلس الشيوخ وحاكمة وحتى رئيسة مجلس النواب وبذلك لم يعد هناك حاجة، في حالة ما إذا كانت هناك حاجة أصلا، لتضامن نسوي موحد. المرأة كائنة عاقلة قادرة على التصويت في كل الانتخابات حسب الاستحقاق.

على أية حال يمكن القول، إنّ هيلاري مرشحة نسوية غير كاملة، فقد كانت حياتها العامة كلها مرتبطة بمسيرة زوجها المهنية، بالإضافة إلى أن أداءها المهني، ولاسيما فيما يتعلق بإصلاح الرعاية الصحية كان متباينا. لقد تخلفت الولايات المتحدة بشكل محرج عن أمم أخرى، إذ إن البلد لم يحظ قط برئيسة، ولكن هذا يرجع جزئيا للمتطلبات الخاصة بالرئاسة في الولايات المتحدة. لقد كان أسهل للمرأة أن تصبح رئيسة وزراء؛ أي زعيمة الحزب الذي يتولى قيادة الحكومة عند الفوز بالانتخابات. فيما يرمز رئيس الولايات المتحدة إلى توحيد أمة عريضة، وهو أيضا القائد الأعلى للقوات المسلحة، وهذا ما يشكل ضغطا خاصا على النساء اللواتي يطمحن لهذا المنصب. لقد أعد التعليم المتصدع بسياسات الهوية النساء للسعي وراء الرئاسة بشكل غير كاف، وهذا ما جعلني لما يقارب العشرين سنة أدعو النسويات الشابات إلى دراسة التاريخ العسكري.

ساهم ترشح هيلاري كلينتون للرئاسة في إيقاظ الحركة النسوية وإحيائها بشكل لم يشهد له مثيل، منذ الجدل الذي أحدثته أنيتا هيل التي شهدت ضد ترشح توماس كلارنس للمحكمة العليا سنة 1991، وبالتالي حان وقت إعادة التقييم. ما موقع الحركة النسوية؟ وما مصيرها؟ وما هو سبب خمود شعلة الحركة النسوية بعد اندلاعها الواضح أثناء الحروب الثقافية لفترة الثمانينيات وبداية التسعينيات، وهي فترة كانت وسائل الإعلام فيها تستشير النسويات القائدات بانتظام بخصوص كل القضايا التي تواجه المرأة. والمفارقة هنا هي أن بداية تراجع الناشطات النسويات عن مكانتهن كفاعلات أساسيات في الساحة العامة كان في عهد رئاسة بيل كلينتون، وفي فترة التسعينيات تناقلت الأخبار عن قلة عدد النساء اللواتي يعتبرن أنفسهن ضمن الحركة النسوية.

لقد كسر كل من التلفاز والشبكة العنكبوتية الحاجز الذي وضعته قائدات الحركة النسوية الأمريكية على الخطاب الإعلامي حول النوع الاجتماعي لمدة عشرين سنة. فإذا بسيل من وجهات النظر البديلة ينهال على الساحة النسوية. وعلى نحو غير متوقع، ظهرت في فترة التسعينيات مجموعة جديدة من النساء المحافظات الجريئات اللواتي طمسن التوقعات التقليدية حول التأكيد الذاتي للنساء، وأذكر هنا لورا انغرام وباربرا أولسن ومونيكا كرولي وآن كولتر وميشيل مالكين، هؤلاء النساء اللواتي درسن في نخبة الجامعات، واشتغلن في بعض الحالات بالإدارات الجمهورية لريتشارد نيكسون ورونالد ريغان، كن يتسمن بالعدوانية والبلاغة والفكاهة والإثارة المثيرة للدهشة والجاذبية التي لم نشهد مثيلها مع خصومهم النسويات الصارمات، وتلاشت بذلك الصورة النمطية القديمة لأمثال بات نيكسون التي تصور النساء المحافظات بصفتهنّ مبتذلات ومكبوتات لطيفات الكلام ومتذللات ضعيفات الشخصية. خسرت قدماء الحركة النسوية اللواتي ظهرن بشكل متصلب ثقيل الظل مقعدهن في قنوات التلفاز لجيل جديد جريء من النساء ذوات التوجه الموضوعي. كانت باربرا أولسن التي لقيت حتفها في هجمات 11 سبتمبر على مقر البَنْتَاغُون، إحدى مؤسسات منتدى

النساء الأحرار، وهي منظمة للنساء المحافظات والليبراليات التي أسست ردّا على تحيز الإعلام الليبرالي في تغطية قضية أنيتا هيل، والتي تورط فيها عدد من الصحفيات في الشمال الشرقي بطريقة مباشرة وربما غير لائقة.

بعد هجمات 11 سبتمبر واحتلال العراق، تزايد تهميش قضايا النوع الاجتماعي، وطغت عليها قضايا الموت والحياة وصدام الحضارات في عصر الإرهاب. تصاعد الاهتمام الشعبي بالرموز العسكرية والتاريخ العسكري والذكورية التقليدية وهذا ما تجلى حتى في ألعاب الأطفال. جاء تعليق الحركة النسوية على هذا التطور الذي وصف كما كان متوقعا بالرجعي البعيد كل البعد عن تلك الفترة، ولربما حين يكون البقاء على قيد الحياة على المحك، فعلينا كبشر أن نتحد، لا أن نركز على النزاع القائم بين الجنسين. لقد مثلت مخلفات أحداث 11 سبتمبر مشكلا لهيلاري كلينتون وعائقا أمام طموحاتها السياسية. كانت الضرورة ملحة في تلك الفترة لإظهار قوة وقيادة المترشحة النسائية وسيطرتها على القضايا العسكرية، مما أدى بهيلاري إلى التصويت لصالح الحل العسكري المشؤوم، والذي خول للرئيس جورج بوش التدخّل العسكري في العراق. عاد هذا القرار ليطارد هيلاري، وجعلها هدفا دائما للجماعة النسائية المتمردة الجريئة والعبقرية: منظمة 'كود بينك'.

ماذا تعني الحركة النسوية تحديدا؟ هل هي نظرية أو أيديولوجية أو ممارسة (أي برنامج عمل)؟ هل يغلب على الحركة النسوية، ربما الطابع الغربي لدرجة لا يمكن تصديرها إلى ثقافات أخرى دون إفساد هذه الثقافات؟ هل نصدر الأفكار الحديثة بشكل عكسي، عندما نجد آثار الحركة النسوية في كتابات العصور الوسطى وعصر النهضة؟ من هم أنصار الحركة النسوية ومن يحددهم؟ من يضفي صفة الشرعية والمصداقية على ذلك؟ أ لابد أن يكون النسويّون أعضاء جماعة معينة، أو أن يتبعوا أيديولوجية سائدة أو أحد فروعها؟ من يقرر وبناء على أية سلطة ما، يجب وما لا يجب التفكير فيه والتطرق إليه بخصوص قضايا النوع الاجتماعي؟ وهل الحركة النسوية في جوهرها حركة يسارية أم هل من الممكن أن تكون هنالك حركة نسوية مبنية على مبادئ دينية محافظة؟

على الرغم من وجود العديد من النصوص المتفرقة النثرية والشعرية التي نددت بانعدام حقوق المرأة وضعف مكانتها الاجتماعية، بدءا بكريستين دي بيزان ووصولا إلى آن برادستريت وماري وولستونكرافت، إلا أن بداية الحركة النسوية بمفهومها التنظيمي كان في منتصف القرن التاسع عشر وكان ذلك مستوحى من حركة إلغاء العبودية التي استهدفت العزل العنصري وحرمان الأمريكيين من أصل إفريقي من حق التصويت بجنوب جيم كرو، كما كان الحال بالنسبة إلى إحياء الحركة النسوية في ستينيات القرن الماضي، التي كانت حركة الحقوق المدنية محفزا لها. وبذلك ارتبطت الحركة النسوية بتوسيع مجال حريات الفئات

المضطهدة. ولطالما ارتبطت الحركة النسوية بالديمقراطية، فلم يكن من قبيل المصادفة أن تولد الحركة النسوية بالولايات المتحدة، وأن تصبح النموذج الأول التي احتذت به الحركة النسوية البريطانية.

بشكل عام، فشلت نظرية النسوية في الاعتراف بدينها للتقليد الغربي فيما يخص الحريات المدنية المتأصلة في اليونان القديمة، وذلك لم يكن مختصرا فقط على الديمقراطية المعيبة في أثينا الكلاسيكية، بما كانت تتسم به من اقتصاد العبيد وتقييدها لحياة النساء، بل قبل ذلك مع أول ظهور للصوت الفردي في الشعر العتيق الذي تعتبر فيه الشاعرة صافو من جزيرة لسبوس، إحدى أمهر ممارسيه وأول كاتبة بارزة في الساحة العالمية. ثانيا، لقد فشلت النظرية النسوية أيضا في الاعتراف بالأهمية البارزة لكل من الرأسمالية والثورة الصناعية في ظهور الحركة النسوية الحديثة؛ حيث أثر هذان الحدثان في التحول الاقتصادي، وتوسع النطاق المهني ومنح النساء لأول مرة في التاريخ، الفرصة لكسب لقمة عيشهن والتخلص من الاتكال على الأب والزوج. ويتجلى تحرير الرأسمالية للنساء بشكل واضح في تلك الأجهزة السحرية الموفرة لليد العاملة مثل الغسالات الآلية وآلات التجفيف التي أصبحت أمرا واقعيا مستخفا به في الطبقة المتوسطة في الغرب.

ثالثا، لم ينصف تاريخ الحركة النسوية درجة تأثير الدين في تشكيل حركة النساء المطالبة بحق الانتخاب، وليس من قبيل الصدفة أن تكون عدد من مؤسسات هذه الحركة من النسويات الأمريكيات من جماعة الأصدقاء الدينية (الكويكرز) من أمثال: سوزان ب.أنتوني التي كانت ابنة مزارع من هذه الجماعة، ولوكرشيا مات التي كانت كاهنة كويكرزية؛ ففي اجتماعات هذه الجماعة عوملت النساء والرجال سواسية، وتعلمت النساء لأول مرة فن الخطابة، وبذلك لا يمكن تعريف مطلب الحق في الانتخاب الذي كانت المثالية والنماذج الدينية محفزا له تلقائيا بحركة يسارية. وبالتأكيد، فإن النزعة المحافظة الاجتماعية كانت حاضرة لدى كل قائدات الحراك لأجل الحق في الانتخاب، وكان ذلك ظاهرا في استهوائهن لحركة الاعتدال، التي كان الهدف منها حظر الكحول، والذي أدى بالولايات المتحدة في نهاية المطاف لإضراب اجتماعي دام أربع عشرة سنة من الحظر بعد الحرب العالمية الأولى. اعتبرت الكحول في القرن التاسع عشر مشكلا متعلقا بالنساء، إذ يقال إن رجال الطبقة المتوسطة آنذاك كانوا يهدرون دخل الأسرة على الكحول، مما أدى بهم إلى إهمال زوجاتهم وأولادهم وتعنيفهم. وفي سبعينيات القرن التاسع عشر، توقدت نار حركة الاعتدال في الساحة العامة، وسميت بـ 'حملة النساء الصليبية' و'حرب النساء المقدسة'. تجمعت نساء حركة الاعتدال خارج الصالونات، حيث قمن بالصلاة وغناء الترانيم وأغلقن المداخل وأحدثن بشكل عام مضايقات وإزعاجا، وأرغم ذلك العديد من الصالونات على الغلق أو الانتقال إلى أماكن أخرى، وكان هذا أحد الأمثلة الأولى في تاريخ تحرك وحشد النساء من أجل الحراك الاجتماعي.

غير أن الدافع لضبط السلوك الخاص الواضح هنا، كان عنصرا ثابتا في الحركة النسوية، وظهر ذلك مجددا بالحملة الخبيثة المعادية للإباحية في سنوات السبعينيات والثمانينيات. كان رد فعل قائدات حركة المطالبة بحق الانتخاب تأديبيا تجاه فكتوريا وودهل التي دافعت عن الحب الحر، وشعرت سوزان ب.أنتوني وأخريات بأن هذه المسألة ستكون بقعة سوداء على الحركة بأسرها، وستؤدي لهلاكها سياسيا. كان حافزهم المناقض لذلك هو إنقاذ النساء من الرذيلة؛ أي مخالب الدعارة، وكان يُنظر للحياة الجنسية خارج مؤسسة الزواج التقليدية بكونها خطر يجب التصدي له بالقواعد الأخلاقية. ويظهر تفوق الأيديولوجية على الرأي الشخصي عند أنتوني في تكريسها وتفانيها الكامل لهذه المسألة، وفي استيائها اللاذع من اختيار عدد من زميلاتها لطريق آخر بسبب احتياجات عائلاتهم وأطفالهم. عند وفاتها، تم تبجيل وتكريم أنتوني على نطاق عالمي، لكن ربما لم يكن تركيزها وهوسها بقضية واحدة نموذجا للحياة المعتدلة.

توجد عدة ثغرات أخرى في قصص الحركة النسوية المتداولة. فمثلا كانت مارغريت سانغر -حاضنة جمعية تنظيم الأسرة الأمريكية والرائدة الجريئة من رواد الدفاع عن حقوق الإنجاب، والتي سجنت سنة 1916 إثر فتحها لعيادة لتحديد النسل بنيويورك- مؤيدة وبشكل علني لفلسفة تحسين النسل؛ أي التكاثر الانتقائي التي تبناها النازيون كجزء من حملتهم الشنيعة، لتطهير العرق البشري من غير المرغوب بهم.

قدمت الموجة الأولى من نساء الحركة النسوية تضحيات عظيمة، أظهرت شجاعة وجرأة كبيرة في مطالبها التي لم تقتصر فقط على المطالبة بحق التصويت، بل بتعديل القوانين التي تمنع النساء من إبرام العقود والحق في الملكية. وصور كاريكاتير القرن التاسع عشر الساخر، قائدات حركة المطالبة بحق الانتخاب بصورة شبيهي الرجال المتحولات متباهيات بسراويل رجالية والسيجار ومهددات الرجال بخلعهم عن عرشهم بالمنزل والحياة العامة، وعندما ألقت هؤلاء النساء خطاباتهن لأول مرة في الشوارع، اعتبر ذلك إساءة مشينة منافية للآداب، والمثير للاهتمام أن أول الولايات التي قامت بمنح النساء الحق في الانتخاب بعد الحرب الأهلية كانت في المناطق الغربية، بينما في شمال شرق البلاد اختارت العاصمة الفكرية والثقافية الثبات على موقفها، بل إنه حتى في سنة 1915 رفضت كل من ماساتشوستس ونيويورك وبنسيلفانيا ونيوجيرسي، التعديل المقترح من قبل حركة المطالبة بحق الانتخاب. لقد كانت الولايات الواقعة على الحدود، والتي عمل بها النساء والرجال جنبا إلى جنب، سباقة إلى اعتبار النساء على قدم المساواة مع الرجال، وبينما استمرت تحكم الشرق الرؤية المتكلفة لشخصية المرأة 'السيدة' بلباقتها ورقتها، كان سيدات وسادة الشرق وأقصى الجنوب على ما بدا آنذاك من فصيلتين مختلفتين.

تم إقرار البند التاسع عشر من الدستور، الذي ينص على حق النساء في الانتخاب سنة 1920 بعد سلسلة متصاعدة من الاحتجاجات العنيفة ابتدأت في 1907؛ حيث احتشدت النساء في مسيرات مكثفة بنيويورك

وواشنطن بأحصنة ولافتات وعربات، استلهمت من المواكب الفخمة لنظيراتهن البريطانيات؛ فقد كانت نساء الحركة النسوية ببريطانيا بقيادة إيميلين بانكهرست، أكثر عدوانية وميولا إلى المواجهة المسلحة والفعل المباشر. كسرت هؤلاء النساء النوافذ واقتحمن اجتماعات الحكومة. وفي عام 1910، حاولن الدخول عن طريق القوة إلى مجلس العموم، ودامت إحدى المشاجرات مدة ست ساعات تبعتها موجة من الاعتقالات والحبس، واستخدمت فيما بعد أساليب وحشية للتغذية القسرية في حق نساء الحركة النسوية في إنجلترا والولايات المتحدة.

وفي عام 1917، تضررت صورة الحركة النسوية الأمريكية، بسبب أساليب المتظاهرات خارج أسوار البيت الأبيض، وظلت النساء يتظاهرن بصمت ويقظة مهيبة حاملات اللافتات لشهور عدة، لكن حينما أصبحت الرسائل في زمن الحرب آنذاك أكثر استفزازا، انقلب المارة الرجال إلى مسيئين ثم عنيفين. ووصفت إحدى اللافتات الرئيس آنذاك وودرو ويلسون بـ 'القيصر ويلسون'. وتجمعت حشود عدوانية من الناس يوميا، ومُزقت الشعارات فقابلت النساء ذلك بالعنف. وفي الأخير، منعت الشرطة المظاهرات باعتبارها خطرا على السلامة العامة والنظام العام، والمفزع هو أن نساء الحركة النسوية أصبحن مثالا للمخربات غير الوطنيات، وعليه يمكن القول إنّ تصاعد العداء ضد خطاب الحركة النسوية قبل الحرب العالمية الأولى في إنجلترا والولايات المتحدة وأثناءها وبعدها، لم يكن بالضرورة موجها ضد المرأة في حد ذاتها، لكن من الممكن اعتباره في بعض الحالات ردا معقولا على ما أصبحت عليه آنذاك أيديولوجية بعض المدافعات عن حق الانتخاب من تشدد وتعصب.

وفي فترة العشرينيات الصاخبة، نأت العديد من النساء المغامرات جنسيا بأنفسهن عن الحركة النسوية، هؤلاء النساء كن يشربن الكحول ويدخن ويشتمن ويرقصن رقصات جامحة كرقصة الشّارلستون. وبالفعل كانت حركة المطالبة بحق الانتخاب مسؤولة فقط على جزء من التغيير الجذري الذي طرأ على نساء ذلك العقد. وأدى التضليل الذي تبع كارثة الحرب العالمية الأولى لسيل من المشاعر المعادية للسلطة، مما أضعف مكانة الأب وهيبة صورته في الحكومة والدين والعائلة، وكان للجاز الإفريقي-الأمريكي أيضا تأثير ثقافي كبير بالإضافة إلى أفلام هوليوود؛ فكانت هذه الأفلام وسيلة إعلامية جديدة حولت التوقعات والسلوكيات الجنسية، مما دفع الكهان والمدرسين والصحفيين والمسؤولين ونساء المجتمع المدني إلى المطالبة بوضع قواعد تنظيمية للصناعة السينمائية. ونتيجة لهذه الحركة الاحتجاجية، خرج للوجود قانون إنتاج الأفلام الذي حكم هوليوود بقبضة حديدية حتى أوائل الستينيات.

كانت فترة العشرينيات والثلاثينيات فترة مجد للنساء المتفوقات، بصورة غير اعتيادية من أمثال دوروثي باركر ودوروثي تومسون وكليربوث لوس وأميليا إيرهارت وبابي ديدريكسون وكاثرين هيبورن.

قد تكون الحركة النسوية باعتبارها حركة سياسية تلاشت، لكن إنجازات النساء والبروز العلني كانا قويين بشكل كبير، وإنه لمن المحبط أن الموجة الثانية من الحركة النسوية، لم تبد اهتماما بتلك النساء الرائدات والجريئات، واعتبرنهن «يملن أكثر نحو الذكورية» وزعمن أنهن غير مباليات بحاجيات جماعة النساء. سأبقي على رأيي بضرورة وجود نساء ملهمات يحتذى بهن لإظهار ما يمكن أن يحققه الطموح والمبادرات الشخصية، ولإعطاء مثال للفخر واحترام الذات، وهذا في حد ذاته أمر بالغ الأهمية بالنسبة إلى نساء أخريات أقل جرأة، واللواتي يواجهن صعوبة في تحقيق الاستقلالية عن الأب والزوج المتسلط وعن الرؤساء والزملاء المتقلبين والدكتاتوريين.

ألغى كل من الكساد الكبير وتصاعد الفاشية في أوروبا واندلاع الحرب العالمية الثانية، العهد المنادى به في تاريخ النساء من تلك الفترة؛ فحين كان الرجال يحاربون في الجبهة أخذت النساء عملهم في المصانع، وكان هذا أوج انتشار رمز روزي ريفيتر المتباهية بعضلاتها ذات الرأسين، لكن عند عودة الجنود كان متوقعا من النساء التنحي جانبا، وكان ذلك ضغطا وتقييدا مجحفا، لكن بعد الحرب العالمية الثانية، اشتدت الرغبة المشتركة لدى الرجال والنساء إلى عودة الحياة الأسرية لمجراها الطبيعي. عادت المشاكل الأسرية إلى الواجهة، وتباعدت من جديد أدوار كل من الجنسين، وبتزايد عدد الزيجات تفاقمت عدد الولادات، وهو ما أحدث جيل طفرة المواليد، وهم الآن الأشخاص المقدمون على التقاعد. في أواخر الأربعينيات والخمسينيات روجت الأفلام والمسلسلات والإعلانات لفكرة الأمومة والتدبير المنزلي وصورتهما على أنهما هدف النساء الأسمى، وهذا بالضبط ما تمردت ضده الموجة الثانية من الحركة النسوية على نحو صحيح وجدير بالإعجاب، غير أن بعض نساء الموجة الثانية من الحركة النسوية قمن بتعميم استيائهن وإدانة كل الرجال في كل مكان وعلى مرّ التاريخ. وبعبارة أخرى، كان على الموجة الثانية من الحركة النسوية، أن تكون لها أيديولوجية محددة زمنيا ومكانيا. كان الولع بالحياة العائلية ما بعد الحرب ظاهرة محلية، لم يكن المشكل متعلقا فقط بالتعصب الجنسي، بل تعلق الأمر أيضا بالثورة الاجتماعية ما بعد الصناعية، التي انتقلت فيها العائلة الممتدة المنتمية للطبقة العاملة إلى أسرة نووية من الطبقة المتوسطة، وهذا ما جعل النساء في عزلة مميتة في منازلهن المريحة. خسرت النساء بذلك صحبة وإرشاد والعمل مع مجتمع بهيج عتيق متعدد الأجيال من النساء.

كانت بداية الموجة الثانية من الحركة النسوية مع بيتي فريدان وكتابها 'اللغز الأنثوي' الذي تم نشره سنة 1963، كان لتحليل الكتاب لظاهرة التفسخ الاجتماعي، التي شعرت بها ربات بيوت الضواحي صدى عند جمهور واسع النطاق، وبعد ثلاث سنوات، شاركت فريدان في تأسيس المنظمة الوطنية للنساء. كانت هذه أول منظمة تعنى بقضايا المرأة منذ الفوز بحق الانتخاب قبل قرابة الخمسين عاما. أما تحليل فريدان

الأولي، فكان ينقصه عنصران مهمّان: الأول أن فريدان لم تكن ربة بيت بسيطة كما صورت نفسها، بل كانت في الخمسينيات ناشطة يسارية مدافعة عن حقوق الشغيلة. والثاني أنه تم إنكار فضل كتاب سيمون دي بوفوار «الجنس الآخر» الصادر سنة 1949 من قبل فريدان وأخريات. وعند وفاة فريدان منذ سنتين، أشادت وسائل الإعلام الأمريكية والبريطانية باستفاضة، بأهمية فريدان في الحركة النسوية لكنها بالغت في تمثيل الدور الذي قامت به فريدان في حياة النساء، فمن غير الصحيح بشكل قطعي ما يروج بأن فريدان فتحت بمفردها المجال لجيل طفرة المواليد من النساء المهنيات اللواتي كن عند ظهورها في الساحة النسوية بالفعل متوجهات بعزم نحو الجامعات والحياة المهنية، لقد تحلينا منذ صغرنا بروح التمكن والإنجاز التي ورثناها من آبائنا الذين عاشوا ونجوا زمن الحرب والكساد. وعلى سبيل المثال لم تصنع فريدان جيرمين غرير، فهذه الأخيرة كانت بالفعل صوتا نسائيا بارزا بموطنها أستراليا، كما أن فريدان لم تصنعني بالحزام الجليدي لشمال ولاية نيويورك؛ ففي بداية الستينيات قبل نشر كتاب فريدان، كنت مراهقة منهمكة في بحث غريب دام ثلاث سنوات حول قدوتي النسوية أميليا إيرهارت، لم تشكل الحركة النسائية المنظمة في أواخر الستينيات سوى أحد أهم الضغوطات بين العديد من العناصر الأخرى التي اتسم بها جيلي الجريء.

نشأ بعد ذلك، انشقاق دفع بيتي فريدان إلى مغادرة المنظمة التي شاركت في تأسيسها. نشأ نزاع بين الناشطات الأصغر سنا، اللواتي تم تهميشهن من قبل زملائهم الرجال المتعصبين في الحركة المناهضة للحرب، وبين النساء الأكبر سنا المتزوجات من جيل فريدان، واللواتي كن منزعجات من المثلية الجنسية. وكما خشيت نساء حركة المطالبة بحق التصويت في القرن التاسع عشر من عرقلة القضايا الجنسية للحركة النسوية، فقد شعرت فريدان بأن الناشطات المثليات الجنس ('التهديد الأرجواني' بتعبيرها) ستبعد نساء التيار السائد عن الحركة النسوية. ولقد هُمشت فريدان كذلك عندما ظهرت الصحافية غلوريا ستاينم بالحركة النسوية، فبعد ضم فريدان لها بالحركة خطفت الأضواء منها بفضل مظهرها التلفزي الرائع. قامت ستاينم، والتي صنعت شهرتها بالتسلل إلى نادي 'أرانب بلابوي'، لأجل تحقيق لمجلة نيويورك بدور بالغ الأهمية في إظهار الناشطات النسويات بصورة طبيعية وتقريبهن للناس؛ فبخصلات شعرها الذهبية ونظارات الطيار العصرية وأسلوبها وصوتها الهادئ، جعلت من الحركة النسوية حركة مقبولة لا تشكل أي تهديد. وأسست ستاينم سنة 1972 مجلة 'مس'، وهي أول مجلة لامعة وواسعة النطاق مخصصة لقضايا المرأة. كما أن اسم المجلة أدرج ضمن اللغة المستخدمة وغير ليومنا هذا طريقة مخاطبة النساء.

غير أنه رغم دراستها بكلية 'سميث' إلا أن ستاينم ليست بمفكرة ولا منظرة. كانت ناشطة متجولة لا تعرف الكلل، لكنها فعليا قامت من البداية بدور الراعية الصارمة لأيديولوجية الضحية، والتي لم تسمح بوجود وجهات نظر بديلة؛ فـ 'بلايبوي' مثلا التي قامت ستاينم بانتقادها بشدة قد أرست أسس الثورة

الجنسية، حيث إن هيو هيفنر المنحدر من الحركة التطهيرية بنيو إنجلاند كان رجلا ذا فكر متقدم متطلع إلى المستقبل، وذلك عن طريق تحسين الصورة النمطية للرجل الأمريكي المفتول العضلات ما بعد الحرب وتصحيحها باعتماد نموذج أوروبي أكثر رقيا ومحبا للمتعة، متذوقا للطعام والنبيذ والجنس والجاز. كان انتقاد ستاينم اللاذع للرجال صريحا ولها مقولة شهيرة تقول فيها إنّ: «المرأة تحتاج إلى الرجل كما تحتاج السمكة إلى دراجة»، وفي الوقت نفسه أخفت عن الرأي العام الدور المهم الذي قام به الرجال في حياتها الشخصية بمانهاتن، كما أنها ربطت الحركة النسوية بالحزب السياسي الديمقراطي وبذلك قيدت مع مرور الوقت امتداد الحركة النسوية.

لقد كان للنساء الرياضيات مثل بيلي جين كينغ، دورا جوهريا في الثوران الأول للحركة النسوية المتجددة. تبنت كينغ التي اتسمت بسرعة الغضب وحدة المزاج ومارتينا نافراتيلوفا من بعدها أسلوبا شرسا مذهلا بملاعب التنس، وهذا ما ألهم جيلا كاملا من النساء للعب الألعاب الرياضية التنافسية. وساهم إقرار الكونغرس الأمريكي للمادة المتعلقة بتعديلات المجال التعليمي (الباب التاسع) سنة 1972 بشكل جذري في توسع عدد البرامج الرياضية الجامعية للنساء وتزايدها، لكن كان ذلك أحيانا على حساب برامج الرياضة الرجالية مثل المصارعة التي كان غالبا ما يتم توقيفها من قبل رؤساء جامعات عديمي الرحمة.

في فترة السبعينيات من القرن الماضي، أُحدثت العديد من البرامج والدورات الدراسية بمجال الدراسات النسائية، ولم تكن هناك أية دراسة حقيقية بهدف إضفاء الصفة المؤسسية على مجال الدراسات النسائية أو لدراسة آثارها على الحركة النسوية. وقد تم تأسيس الدراسات النسائية بشكل عشوائي وتدريجي بدون الأخذ في الاعتبار ما تستلزمه الدراسة العلمية للنوع الاجتماعي، وتم تبني منهج الحركة النسوية الحالية الذي يرتكز بشكل كلي حول صورة المرأة/الضحية، ولم تستطع الدراسات النسائية ولا خليفتها أي دراسات النوع الاجتماعي التخلص من هذه النزعة الأيديولوجية، ونظرا لأن أول أساتذة الدراسات النسائية كانوا في الأصل أساتذة بشعب الأدب أدى إلى استبعاد العلوم تماما، إلا أن عدم معرفة أساسيات البيولوجيا لا تمنح الطلبة والأساتذة المجال لتباحث تداخل كل من الطبيعة والثقافة في إنتاج الفوارق بين الجنسين.

كانت الدراسات النسائية، باعتبارها مجالا دراسيا جديدا، مثله مثل مجال الدراسات السينمائية المتعطش لأن يتم أخذه بجدية، عرضة لتدخل ما بعد البنيوية الأوروبية التي أصبحت آنذاك تتغلغل في الشعب الأدبية الأمريكية عن طريق جامعة جونز هوبكينز وجامعة ييل في بداية السبعينيات. رفضت الما- بعد البنيوية لكونها تركيب اجتماعي منتظم القول بأن للنوع الاجتماعي أسسا في البيولوجيا، ونسبت بغرابة شديدة كل الفوارق بين الجنسين إلى اللغة فقط، وبعد ذلك بقليل خصصت النساء الأكاديميات في الحركة النسوية

مجلدات من النظريات المفصلة لتحقيق حول فرضيات النوع الاجتماعي، وهو مشروع فسروه خطأً بالعمل الثوري الحامل لنتائج اجتماعية مثالية ووهمية.

أما في الواقع، فقد اتسمت الحركة النسوية في فترة السبعينيات بحدثين أساسيين؛ الأول كان قرار المحكمة العليا في قضية روي ضد وايد سنة 1973، والذي مكن من تشريع الإجهاض في كل الولايات الخمسين، كان ذلك تطورا تاريخيا للحقوق الإنجابية للمرأة، وهو ما أسانده دون تحفظ، ومما يؤسف له هو هيمنة قضية الإجهاض على الحركة النسوية، وأقر أن ذلك فيما بعد سيدمر الحركة ويضعفها. أما الحدث الثاني، فكان تأسيس المحامية والناشطة الجمهورية فيليس شلافلي أم الستة أطفال لـ 'مرحلة الإيقاف'، وكان هدف هذه المجموعة إفشال تعديل الحقوق المتساوية، والذي كان يسير ببطء نحو الهيئات التشريعية بالولايات. كانت هذه لحظة حاسمة في السياسة الأمريكية لأن تنظيم شلافلي الشعبي سيؤسس لاحقا لإعادة إحياء الفكر المحافظ. هاجمت قائدات الحركة النسوية اللواتي كن حبيسات أيديولوجيتهن المتزمتة شلافلي دون الاستجابة كما ينبغي للمخاوف التي أثارتها، والتي شملت أسئلة بديهية حول تجنيد النساء أو إقرار المراحيض مزدوجة الجنس. وبعد صراع دام عشر سنوات لم ينجح التعديل سنة 1982 في الحصول على تصويت العدد اللازم من الولايات، وعلى الرغم من ذلك لم يستطع هذا الفشل تحفيز التحليل الذاتي لدى قائدات الحركة النسوية، بل على العكس من ذلك تماما تشددت مواقفهنّ المعارضة واعتبرن العالم ببساطة مقسما بين من هم مع الحركة النسوية ومن هم ضدها.

وبحلول الثمانينيات حصلت فجوة بين أكاديميات الحركة النسوية المتأثرات بالسحر العصري لجاك لاكان، ونساء التيار السائد للحركة النسوية الموجهة نحو العمل، وكانت الكتابات المثيرة للجدل لكل من كاثرين ماكينون وأندريا دوركين عنصرا محوريا في منهج الدراسات النسائية، وقد أكدت كلتاهما على أن الإباحية سبب الاغتصاب، ولذلك وجب منعها. وهذا أحد نماذج بياناتهما: «تصنف الإباحية في نفس درجة النازية ومنظمة كو كلوكس كلان في ترويجها للكره والعنف.» وهذا ادعاء جنوني غير جدير بنساء الفكر الحديث. وأدى نضال ماكينون ودوركين إلى إقرار قوانين معادية للإباحية في إنديانابوليس ومنيابولس، والذي اعتبر بعد ذلك قرارا غير دستوري. ظهرت هيمنة ماكينون الثقافية في الطريقة التي تم فيها تمجيدها في غلاف مجلة نيويورك تايمز سانداي سنة 1991، وفي أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات ظهرت ظاهرة مماثلة لذلك، تجلت في التركيز المتزايد على الاغتصاب في الحرم الجامعي و«اغتصاب المواعدة» بالخصوص. وتناولت نشرات الأخبار والبرامج الحوارية موضوع الاغتصاب بحماسة شديدة، كانت هذه قضية اجتماعية مهمة للغاية، إلا أن طريقة الترويج لها داخل الحرم الجامعي وخارجه كانت تحول النساء من جديد إلى ضحايا عاجزات.

لكن سرعان ما حلت رياح التغيير على الحركة النسوية؛ ففي منتصف الثمانينيات أذيعت للعالم عبر جهاز التلفاز السلكي الصورة الجنسية الصريحة والعري الجزئي من خلال مادونا وأغانيها المصورة الرائدة، وهذا ما أثار جيلا من النساء الشابات وأيقظهن. بدأت مادونا بحملة تحرير أدت إلى ما أطلق عليه العديد من المعلقين اليمينيين واليساريين مؤخرا بـ «تطبيع الإباحية» بالولايات المتحدة الأمريكية. وفي الثمانينيات، ظهرت ثورة داخل الحركة النسوية ضد استبداد ماكينون ودوركين بسان فرانسيسكو، حيث كان النزاع حادا حول السادية المثلية ولعب أدوار المرأة أو المترجلة. ومع بداية التسعينيات، نالت مثليات أحمر الشفاه اهتماما وطنيا واسعا، وكان ذلك تحولا جذريا من الصورة الباهتة والمبادئ السياسية المشاعة لمثليات الحركة النسوية، اتخذت الموجة الثالثة من الحركة النسوية (استعمل المصطلح أول مرة من طرف ريبيكا ووكر) مواقف مختلفة بشأن هذه القضايا. ناصرت ناعومي وولف في الأخير رغم تعصبها الأولي حول الجمال الموقف المؤيد للجنس القريب من وجهة نظري، بينما تبنت سوزان فالودي موقف حزب ستاينم حول اعتبار الثقافة الشعبية معادية للحركة النسوية بشكل شامل.

على الرغم من ادعاء كل من النساء الأكاديميات ونساء التيار السائد في الحركة النسوية تشجيع تنوع الآراء، إلا أن الواقع كان بعيدا كل البعد عن ذلك. وفي بداية السبعينيات أوشكت على عراك بالأيدي مع ناشطات نسويات أخريات حول موسيقى الروك الذي كان يُعتبر حينذاك متحيزا ضد المرأة وحول مسألة الهرمونات، والتي ارتأيت أنها عاملا من عوامل اختلافات الجنس. وفي أواخر الثمانينيات وصلت كريستينا هوف سومرس إلى طريق مسدود في مؤتمرات أكاديمية، حين حاولت فتح نقاش مع نسويات أخريات حول بعض القضايا الجوهرية. وعند نشر كتابي سنة 1990 تحت عنوان «الشخصية الجنسية» من طرف منشورات جامعة ييل شبهت غلوريا ستاينم، هذا المجلد ذي 700 صفحة، رغم وضوح عدم قراءتها له بكتاب «كفاحي» لهتلر. وعندما أعيد نشر مقال كتبته حول «اغتصاب المواعدة» بصحيفة نيويورك نيوزداي في يناير 1991 بجميع أنحاء الولايات المتحدة، صاحب ذلك رد فعل قوي بما في ذلك حملة تشهير منظمة، حيث تلقى رئيس جامعتي بفيلادلفيا اتصالات من كل أنحاء البلاد تدعوه إلى طردي من وظيفتي التعليمية، ومن حسن الحظ اختار رئيس الجامعة قرارا مستنيرا يقضي بأن كل أعضاء هيئة التدريس لهم الحق في التعبير بحرية في مختلف القضايا العامة، وقد كنت محظوظة لتوفري على تثبيت وظيفي. سيكون المدرسون الشباب آنذاك والآن أكثر ترددا في التعبير عن آرائهم غير الاعتيادية. عندما نشرت كاتي رويفي كتابها «الصباح الموالي» سنة 1994 حول أيديولوجية الاغتصاب بالحرم الجامعي تلقت هجوما شنيعا وغير عقلاني من طرف نساء المؤسسة النسوية الأكبر سنا، وكان هذا في نظري إحدى أحقر اللحظات وأكثرها بعدا عن الأخلاقية في الحركة النسوية المعاصرة.

تصاعدت حدة الحركة النسوية المحافظة حتى مع خسارة الحركة النسوية لهذه الحرب. وازدهرت الشبكة العنكبوتية التي أصبحت وسيلة تكاد تكون عالمية في منتصف التسعينيات بالتنوع، وعندما انتقلت الإباحية إلى الأنترنت، أصبح من الصعب على الناشطات النسويات تعقب أثرها وإيقافها، وبينما شكل الإنترنت وسيلة تواصل ونقاش مذهلة للحركة النسوية، فإنه الممكن أن يكون أيضا أحد أسباب اختفاء النقاش النسوي عن الرأي العام، إذ إنه يمكن للمواقع الإلكترونية أن تصبح مجالا واسع النطاق لا يستقطب سوى الأنصار الحقيقيين.

وتجلى أحد أهم تحركات قائدات تيار الحركة النسوية السائد، في دفاعهن الشرس والثابت عن بيل كلينتون في القضية المرفوعة ضده سنة 1994 من طرف بولا جونز وفضيحة مونيكا لوينسكي سنة 1998؛ إذ تم فجأة إسقاط حجج التحرش الجنسي التي قدمت خلال إفادة أنيتا هيل وعكسها، رغم أن اتهامات جونز، الموظفة الحكومية سابقا بولاية أركنساس، ضد كلينتون كانت أكثر جسامة من اتهامات هيل ضد كلارنس توماس. ورغم أنني صوتّ مرتين لصالح بيل كلينتون، إلا أنني صدمت واستأت من استغلاله الشنيع للشابة مونيكا لوينسكي التي جمعته معها لقاءات فاحشة وسرية بمكاتب ممولة من قبل دافعي الضرائب. وفي هذه الحالة عادة ما تعتبر الناشطات النسويات وجود موافقة مطلعة من الطرفين شيئا مستحيلا. أدت أساليب قائدات الحركة النسوية المتحيزة علنا ودفاعهن الاستثنائي خلال أزمة عزل كلينتون إلى القضاء على مصداقيتهن وتدمير القضايا النسوية الجوهرية.

الأمر المؤكد هنا هو أن الحركة النسوية المستقبلية ستؤسس على يد النساء الصغيرات سنا الآن، ولهذا يجب على الجيل القديم بما فيهم أنا، التخلي عن الخلافات العقائدية وحروب العصابات. أنا أرفض مصطلح «ما بعد النسوية» الذي أصبح عبارة شائعة بوسائل الإعلام في التسعينيات، والذي غالبا ما يتم ربطه بي، وهذا لا أساس له من الصحة. الحركة النسوية ما زالت مستمرة لكنها تمر باضطرابات وأزمات. وفي الوقت الراهن لا وجود لقضية بارزة موحدة تثير الحماسة في نفوس طائفة عريضة من النساء، ومن المؤكد أن الحركة النسوية ملزمة بالتظاهر ضد الانتهاكات التي يتعرض لها النساء والأطفال في دول العالم الثالث وإصلاحها إذا أمكن. لكن الحركة النسوية قد تبدو مختلفة جدا في المجتمعات التقليدية والدينية، والتي ما تزال تعطي أهمية كبرى للأمومة والعائلة، وتكون فيها المرأة العاملة والمستقلة أقل ألفة وأقل إثارة للإعجاب.

وفي الختام، فإن مقترحاتي للإصلاح هي كالتالي: أولا، يجب إدماج العلوم باعتبارها عنصرا جوهريّا بكل برامج الدراسات النسائية ودراسات النوع الاجتماعي. ثانيا، يجب أن يتم تقييم هذه البرامج من قبل هيئة تدريس مؤهلة لا من قبل إداريين أو سياسيين لتجنب التحيز الإيديولوجي، ويجب دمج كتابات معارضي الحركة النسوية المحافظين وكذا المنشقين عن الحركة. بدون هذا التنوع لن يحصل الطلاب على التعليم،

بل على تلقين عقائدي. وبالتأكيد أن نجد ضمن وجهات النظر المعارضة حركة الاستعفاف وهي ظاهرة بروتستانتية إنجيلية، وأيضا حجة وردت في كتاب ويندي شاليت الأول المعنون بـ «العودة إلى الاحتشام»، والذي أحدث ضجة كبيرة عند صدوره قبل تسع سنوات، إلا أن تأثيره ما زال واضحا اليوم بأندية العفة الجامعية بما فيها هنا بهارفارد. وباعتباري ناشطة قديمة بالحركة النسوية المؤيدة للجنس ما زالت تؤيد الإباحية والدعارة، أحفز بقوة كل هؤلاء النساء الشابات العفيفات اللواتي يدافعن عن تفردهن ويتحدين التفكير الجماعي والعرف الاجتماعي. إن تلك هي الحركة النسوية الحقيقية.

ونصيحتي الأخيرة من أجل الإصلاح هي التراجع وبشكل قوي عن نظام الأبوية للجان المظالم وأجهزة بيروقراطية متطفلة أخرى، حولت الحرم الجامعي الأمريكي إلى ملاذ لخدمة العملاء. لقد ناضلت نساء جيلي من الحركة النسوية لأجل إسقاط كل ما هو دخيل في قواعد ولي الأمر التي جعلت النساء حبيسات مساكنهن بشكل مهين ليلا. لا يتوفر الإداريون ولا الهيئات الأكاديمية على أية كفاءات للتحقيق في الجرائم بما في ذلك التحرش الجنسي. ولذا، إن تم ارتكاب جريمة ما، فيجب التبليغ عنها لدى الشرطة لكي تتم حماية الحريات المدنية لكل من الجاني والضحية، وهذا لا يعني إعفاء الشباب من واجبهم في التصرف بشكل شريف ولائق، فلا يمكن التساهل مع الأفعال الهمجية. لكن علينا التوقف عن النظر إلى كل شيء في الحياة من زاوية النوع الاجتماعي الضيقة. إذا أرادت النساء فعلا معاملة متساوية في المجتمع، فيجب عليهن التوقف عن طلب حماية صبيانية خاصة، إذ إن مع الحرية تأتي المسؤولية.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2019

All rights reserved © 2019